

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ (٣)

[محمّد ﷺ : 3]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تعليلُ الجزاءِ
للفريقين،
وإظهارُ الحكمةِ
في المُفاضلةِ
بَيْنَهُمَا

لَمَّا كَانَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ عَلَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِهِ
بِالْفَرِيقَيْنِ^(١)؛ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ
وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
أَمْثَلَهُمْ﴾ تَعْلِيلٌ بَدِيعٌ لِمَا سَلَفَ مِنْ بَيَانِ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ؛ إِذْ لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ
ﷻ مَصِيرَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَمَالَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
حَظُوا بِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِصْلَاحِ الْبَالِ، أَعْقَبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ عَلَّةِ هَذَا
التَّفَاوُتِ وَأَصَلَ تِلْكَ الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْبَاطِلُ﴾: (باطل) تَدُلُّ اسْتِقَاقَاتُهُ عَلَى ذَهَابِ الشَّيْءِ وَقِلَّةِ
لُبِّهِ⁽²⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُلُ؛ إِذَا تَلَفَ⁽³⁾، وَسَمِّيَ السَّحَرَةُ
بَطَلَةً⁽⁴⁾ كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: «وَلَا تَسْتَطِيعُهَا
الْبَطَلَةُ»⁽⁵⁾؛ لِضِيَاعِ سَعِيهِمْ وَذَهَابِهِ؛ لِاسْتِغَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَالْبَاطِلُ:
ضِدُّ الْحَقِّ⁽⁶⁾، وَهُوَ الشَّيْءُ الزَّائِلُ؛ أَي: مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ عِنْدَ الْفَحْصِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18 / 199.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (باطل).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (باطل).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (باطل).

(5) الحديث رواه مسلم من حديث: أبي أمامة الباهليؓ، ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة
اللسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة: برقم: (804).

(6) الجوهري، الصحاح: (باطل).

عنه؛ إذ هو ضدُّ الحقِّ، والحقُّ: هو الثَّابِتُ⁽¹⁾. والباطل: الفاسد، والمرادُ به هنا: اتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ فَأَطَاعُوهُ فيما يَدْعُوهُمْ إليه⁽²⁾.

(2) ﴿الْحَقُّ﴾: مِنَ الْجَذْرِ (حَقَق)، وهو أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ، فَالْحَقُّ نَقِيضُ الْبَاطِلِ⁽³⁾، وهو تَمَكُّنُ الشَّيْءِ فِي عُمُقٍ مَقَرَّهُ، أَوْ وَسْطِهِ، كَمَا يَتِمَكَّنُ رَأْسُ الْوَرِكِ فِي حُقَّتِهِ⁽⁴⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَقُّ: نَقِيضُ الْبَاطِلِ، وَالشَّيْءُ الثَّابِتُ الرَّاسِخُ الْمُتَمَكِّنُ بِشَرِيعَةٍ صَحِيحَةٍ، أَوْ عَرَفَ عَامٌ مُسْلِمٌ، وَحَقَّ الشَّيْءُ: ثَبَتَ، وَوَجَبَ⁽⁵⁾؛ والمرادُ به هنا: النَّبِيُّ ﷺ، وَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مِنَ النُّورِ وَ الْبِرْهَانِ⁽⁶⁾.

(3) ﴿يَضْرِبُ﴾: أَصْلُ الضَّرْبِ إِيقَاعُ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ وَإِصَابَتُهُ بِهِ، يُقَالُ: ضَرَبَهُ بِالْعَصَا، يَضْرِبُهُ، ضَرْبًا؛ أَي: أَوْفَعَهَا عَلَيْهِ⁽⁷⁾. وَالضَّرْبُ الصَّنْفُ وَالنَّوْعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ؛ يُقَالُ: هَذَا مِنْ ضَرْبِ ذَاكَ؛ أَي: مِنْ نَحْوِهِ، وَجَمْعُهُ ضُرُوبٌ⁽⁸⁾، وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ: اعْتِبَارُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَتَمَثُّلُهُ بِهِ، يُقَالُ: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا؛ أَي: وَصَفَ وَبَيَّنَّ، قِيلَ مَأْخُودٌ: مَنْ ضَرَبَ الدَّرْهَمَ؛ أَي: صَوَّغَهُ لِإِيقَاعِ الْمَطَارِقِ؛ سُمِّيَ بِهِ لِتَأْثِيرِهِ فِي النُّفُوسِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الضَّرْبِ؛ أَي: الْمَثِيلِ. تَقُولُ: هُوَ ضَرْبِي، وَهُمَا مِنْ ضَرْبٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ الْأَوَّلَ مِثْلَ الثَّانِي⁽⁹⁾. وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿يَضْرِبُ﴾ فِي الْآيَةِ: يُبَيِّنُ وَيُمَثِّلُ⁽¹⁰⁾.

(4) ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾: أَصْلُ (مَثَل) يَدُلُّ عَلَى مُنَاطَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وَهَذَا مِثْلُ هَذَا؛ أَي: نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ⁽¹¹⁾، وَمَثَلٌ لَهُ كَذَا تَمَثُّلًا إِذَا صَوَّرَ لَهُ مِثَالَهُ بِالْكِتَابَةِ أَوْ غَيْرِهَا، وَالتَّمَثُّلُ: الصُّورَةُ، وَالْجَمْعُ: تَمَثُّلٌ، وَمَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ: انْتَصَبَ قَائِمًا⁽¹²⁾، وَالْمَثَلُ:

(1) السمين الحلبي، عمدة الحقاظ: (بطل).

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 182/21، والجاوي، مراح لبيد: 414/2.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقق).

(4) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (حقق).

(5) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (حقق).

(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 182/21.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضرب).

(8) الأزهري، تهذيب اللغة: (ضرب).

(9) الزبيدي، تاج العروس: (ضرب).

(10) الثعلبي، الكشف والبيان: 6/29، وإسماعيل حقي، تفسير روح البيان: 497/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 77/26.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مَثَل).

(12) الزاقي، مختار الصحاح: (مَثَل).

عبارة عن قولٍ في شيءٍ يُشبهُ قولاً في شيءٍ آخر بينهما مُشابهة؛
ليُبيِّنَ أحدهما الآخر ويصوِّره، والمعنى هنا: يُشبهُ لهم الأشباه،
فيلحقُ بكلِّ قومٍ من الأمثالِ أشكالاً⁽¹⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

تبيينُ الجزاءِ
بإقامةِ الحجَّةِ،
وإظهارُ الحقِّ
بتوضيحِ الحجَّةِ

يُبيِّنُ الله ﷻ سببَ جزاءِ الفريقينِ بما جازاهُم به، فيقول: ذلكَ
الإحباطُ لأعمالِ الكافرينِ كانَ جزاءَ لهم بسببِ اتِّباعِهِم للباطلِ،
وتقديمِهِم إيَّاهُ على الحقِّ، وذلكَ التَّكْفِيرُ لسيِّئاتِ المؤمنينِ، وإصلاحُ
بالِهِم، كانَ فضلاً من الله عليهم، جزاءً لاتباعِهِم الحقَّ الذي أتاهُم
من عندِ ربِّهِم، وكما بيَّنَ الله تعالى مآلَ المؤمنينِ والكافرينِ، وفصلَ
الفرقَ بينَ الصَّنفينِ، كذلكَ يُمثِّلُ الله للنَّاسِ أحوالَهُم، ويُجَلِّي لَهُم
طرائقَهُم، حتَّى لا يخفى عليهم نهجُ الصَّلاحِ من سبيلِ الفسادِ، ولا
يلتبسُ عليهم طريقُ الحقِّ بطريقِ الضَّلالِ⁽²⁾.

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبلاغِيُّ:

وجه التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ الدَّالِّ على البُعدِ:

تجليةُ السَّبَبِ
الأصليِّ
في إضلالِ
الكافرينِ،
وتكفيرِ سيِّئاتِ
المؤمنينِ،
تعظيماً للجزاءِ
والعاقبةِ

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ
وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لتمييزِ المُشارِ إليه أكملَ
تمييزٍ؛ قد جاءت لتُجَلِّي السَّبَبَ الأصليَّ في إضلالِ الكافرينِ، وتكفيرِ
سيِّئاتِ المؤمنينِ، وإصلاحِ بالِهِم، فجاء اسمُ الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾ عائداً
على ما بيَّنَ في أحوالِ المؤمنينِ، والكافرينِ، مُشيراً إلى الأمرِ العظيمِ
الذي تضمَّنَ جزاءَ الفريقينِ، فهو أمرٌ بالغُ الأهميَّةِ، جليلُ الشَّأنِ،
كما يُؤدِّنُ اسمُ الإشارةِ بعِظَمِ العاقبةِ التي آلَ إليها كلا الفريقينِ⁽³⁾.

(1) القاسمي، محاسن التَّأويل: 465 / 8، والمراغي، تفسير المراغي: 26 / 46.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 182 / 21، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 225 / 16، وابن كثير،
تفسير القرآن العظيم: 306 / 7، والسَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 784، والسَّنْطَقِي، أضواء

البيان: 247 / 7.

(3) الصَّاوي، حاشية الصَّاوي علي الجلالين: 4 / 29، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 18 / 7.

ويُشير التعبير باسم الإشارة إلى سرِّ بلاغيٍّ آخر، وهو تجسيدُ المعنويات، وهي أعمالُ الذين كفروا، وأعمالُ الذين آمنوا في صورةٍ محسوسةٍ شاهدةٍ، ولكنها بعيدةٌ لا يُدركها إلا أهلُ الاعتبار؛ لأنه لا يأخذُ العظةُ والاعتبارُ منها إلا النفوسُ المؤمنةُ التي أصلحها الله ﷻ، وجعلَ صلاحها ظاهراً وباطناً، فكانت قويةً مهيأةً للوعي والإدراك⁽¹⁾.

بلاغة اللَّفِّ والنَّشْرِ في مطلع الآية الكريمة:

في مطلع الآية الكريمة جمعٌ بعد تفريق؛ إذ فرَّق النظم الكريمُ بينَ جزاءِ الكافرينَ وجزاءِ المؤمنينَ في الآية السابقة، ثم عادَ فجَمَعَهُما في هذه الآية فقال: ﴿ذَلِكَ﴾، وجاء لفظُ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارةً إلى الآيتين السابقتين، فكان اللَّفُّ ثمَّ جاء النَّشْرُ مُرتباً بقوله: ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾؛ فجعل لكلَّ فريقٍ منهما ما يُناسبه من بيان سبب الجزاء السابق؛ إذ أظهرَ سببَ الهلاكِ للكافرينَ، وسببَ الفوزِ للمؤمنينَ، واللَّفُّ والنَّشْرُ من المُحَسِّنَاتِ البديعةِ التي تعملُ على تهيئةِ النفوسِ، وإثارةِ الانتباهِ، وإعمالِ الفكرِ⁽²⁾.

معنى الباء في ﴿بِأَنَّ﴾:

في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أفادت الباءُ السَّبَبِيَّةَ، وجاءت لتدلُّ على عظيمِ ارتباطِ ما حاقَّ بالكافرينَ وما أوتيَ المؤمنونَ بسببِ ما قدَّم كلُّ منهما؛ فبسببِ اتِّباعِ الكافرينَ للباطلِ، ذاقوا وبالَ أفعالِهِم، وأُحْبِطَتِ أعمالُهُم، وأضلَّهُمُ الله عن سبيلِهِ، وأمَّا المؤمنونَ، فبسببِ اتِّباعِهِمُ الحقَّ الذي جاءهم من ربِّهم، وتلقَّيهم إِيَّاهُ بالقبولِ والتَّسليمِ، نالوا مغفرةَ الله، وصلاحَ

تجسيدُ المعاني
في صورةِ البعيدِ
الذي لا يُدركُهُ
إلا أهلُ البصيرةِ
بالتَّوْحِيدِ

بيانُ للصيرِ
والفصلِ بينِ
الفريقينِ

بيان سببِيَّةِ
الجزاءِ، بينِ المنعِ
والعطاءِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26 / 76، وفاطمة السيد، من بلاغة القرآن الكريم في سورة محمد ﷺ: 239 / 6.

(2) الشَّهاب، حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاوي: 488 / 8، والالوسي، روح للعاني: 13 / 195.

أحوالهم، فكانَ الجزاءُ من جنسِ العملِ، وكانَ العطاءُ الإلهيُّ على قدرِ الطاعةِ والاتباعِ، فجاءتِ الباءُ مقترنةً بـ (أَنَّ) مؤكدةً لصلةِ هذه الآيةِ بما سبقها، مشيرةً إلى وثيقِ ارتباطها بما تقدّمَ من بيانِ حالِ الفريقينِ، وفيها تفصيلٌ وتوضيحٌ لما مضى، وبيانٌ لحكمةِ الله في الفصلِ بينَ العبادِ؛ إذ لم يكنْ جزاءُ الكافرينِ إلا بسببِ إعراضهم، ولم يكنْ تكفيرُ سيئاتِ المؤمنينِ إلا بسببِ صدقِ إيمانهم، فحقُّ لكلِّ فريقٍ أن يَنالَ ما استوجبهُ بعمله⁽¹⁾.

بديعُ الجمعِ والتفريقِ:

يجوزُ أنْ يحْمَلَ الباطلُ على ما يُقابِلُ الحقَّ - وهو الزائلُ الدَّاهِبُ الذي لا أصلَ له أصلاً -؛ فالتَّصريحُ بسببيَّةِ اتِّباعه لإضلالِ أَعْمَالِهِمْ وإبطالِها؛ لِبَيانِ أنْ إبطالَها لِبُطْلانِ مَبْنَاهَا وَزَوَالِها، وَيَجوزُ أنْ يَرادَ بالباطلِ نَفْسُ الكُفْرِ والصدِّ، وبالحقِّ نَفْسُ الإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ؛ فيكونُ التَّنصيصُ على سببيَّتِهما لما ذُكِرَ مِنَ الإضلالِ وَمِنَ التَّكْفِيرِ والإصلاحِ نَصْرِيحاً بالسَّببيَّةِ المُشعرِ بها في الموقعينِ، وفي هذا مُحسِّنُ الجمعِ بَعْدَ التَّفريقِ، وَيُسَمَّوْنَهُ التَّفْسِيرَ؛ لأنَّ في الجمعِ تَفْسِيراً لِلْمَعْنَى الذي تَشْتَرِكُ فيه الأشياءُ المُتفرِّقة؛ تَقَدَّمَ أو تَأَخَّرَ⁽²⁾.

بلاغةُ توكيدِ الخبرِ بـ (أَنَّ) واسميَّةِ الجُملة:

جاءتِ الجُملةُ ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مؤكَّدةً بأنَّ واسميَّةِ الجُملةِ لتحقيقِ البَيانِ المُقرَّرِ في الخبرِ بعد الإبهامِ؛ إذ وردَ في ابتداءِ الآيةِ اسمُ الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾، فتتطَلَّعُ النُّفُوسُ إلى كَشْفِ المُرادِ مِنْهُ، فيأتي بَعْدَهُ البَيانُ المُفصَّلُ في قولهِ ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيُجَلِّي المَعْنَى، وَيُزِيلُ اللَّبْسَ، وَيُحْكِمُ التَّقريرَ، فلا يَبْقَى في الأمرِ خفاءٌ، ولا في

إحكامُ التَّقابلِ
بينَ المعاني،
وتبيانُ السَّببيَّةِ
في ميزانِ الحقِّ
والبُطلانِ

تحقيقُ البَيانِ
المُقرَّرِ في الخبرِ
بعد الإبهامِ

(1) إسماعيل حقي، روح البَيان: 497/8، والشَّهاب، حاشية الشَّهاب على تفسير البَيضاوي: 488/8، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 26.

(2) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَّاف: 315/4، والبَيضاوي، أنوار التَّنزيل: 119/5، والطَّيْبِي، حاشية الطَّيْبِي على الكَشَّاف: 323/14، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 92/8.

المقصود التباس، فيرسخ في العقول، ويتمكن في القلوب، وتتجلى منه حكمة الله في الجزاء، وتماّم عدله في القضاء.

بلادة الاستعارة في التعبير بالاتباع لدى الفريقين:

كان للتعبير البياني عن طريق الاستعارة أثره في الآية؛ إذ شُبّهت أعمال الذين كفروا باتباع الباطل، ثم استُعير اتباع الباطل لأعمال الذين كفروا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وكان في ذلك إظهاراً لشدة تلبّسهم بالباطل، وتوغلهم فيه، وجاء ذات التركيب في شأن المؤمنين، فاستُعير اتباع الحق لأعمالهم، في دلالة على أنّ أعمالهم قد اتّحدت بالحق، وسارت في أنوار الهداية، وفي هذا التصوير البديع بيان لحال الفريقين، وإظهاراً للفارق بين من استضاء بنور الحق، ومن انغمس في ظلمات الباطل فكان تصويراً مُحْكَمًا، يُرسّخ في الأذهان التباين الشديد بين الصنفين⁽¹⁾.

دلالة اختيار الفعل «اتَّبَعُوا» مُضَعَّفًا:

جاء الفعل «اتَّبَعُوا» بصيغة التفعيل المُضَعَّف، وفي هذا الاختيار إيحاءً ببلوغ الاتباع غايته، وتوغل الفريقين فيما سلكوه من طريق، بغاية جهدهم ومعالجتهم لما قادتهم إليه فطرتهم الأولى. فالزيادة في بنية الفعل تدل على المبالغة في الاتباع، والتعلق الشديد به، فكان اتباع المؤمنين للحق اتباعاً عن يقين وبصيرة، واتباع الكافرين للباطل اتباعاً عن جحود وعناد، وهذا ما جعل كل فريق يُجزى بعمله⁽²⁾.

دلالة تعريف لفظ «الْبَاطِل»:

في تعريف «الْبَاطِل» بآل التعريف إيماءً بدبعية إلى أنه الباطل المحض، الذي لا حق فيه ولا خير، فلا باطل يُساويه في الضلالة

تصوير ارتباط
الفريقين بالحق
والباطل،
تجسيداً للتباين
بينهما

الدلالة على
بلوغ الغاية في
الاتباع والتوغل
فيه

تشنيع الباطل
وتقبيحُه،
وتوبيخ مَنْ
اتَّبَعَه

(1) الطنطاوي، التفسير الوسيط: 219 / 13، وفاطمة السيد، من بلاغة القرآن الكريم في سورة محمد

240 / 6.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 200 / 18، والشربيني، تفسير الخطيب الشربيني: 4 / 4.

والفساد، فكأنه لا باطلَ سواه، ولا ضلالَ يُمائله، فجاء التعريفُ على وجهِ التقييدِ والتشنيعِ لاتباعهم إياه، وإعراضهم عن الحقِّ المبين، فكان ذلك أبلغَ في التوبيخ، وأشدَّ في بيانِ رَيعهم⁽¹⁾.

بلاغة التعبير بالمقابلة:

بين قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مقابلةً بين ألفاظ: ﴿كَفَرُوا﴾ - ﴿ءَامَنُوا﴾ و﴿الْبَاطِلَ﴾ - ﴿الْحَقَّ﴾، وفي ذلك بيانٌ بديعٍ يُجَلِّي التباينَ الشاسعَ بين الفريقين، ويبرزُ الفارقَ العظيمَ بين مسلكِ أهلِ الحقِّ وأهلِ الباطلِ، والمقابلة من وادي تداعي المعاني حين تنتقل النفسُ من النقيضِ إلى النقيض، والمعاني تتضحُ بالمُقابلة، وتتمكَّنُ في النفس؛ لأنها تقتربُ بأضدادها، وفي هذا التقابلِ البديعِ إثارةٌ للعقول، واستنهاضٌ للأفهام، لئُبَادِرَ إلى الموازنةِ بينَ الحالتينِ، فتُدركَ بجلاءٍ عاقبةَ كلِّ فريقٍ، فلا يلتبسُ عليها طريقُ الهدى بسبيلِ الضلالِ⁽²⁾.

سِرُّ تكرار لفظ الفعل «اتَّبَعُوا»:

تكرر الفعل «اتَّبَعُوا» مع الفريقين ليؤدِّن أنَّ كلا الفريقين قد تعمَّقَ وتقرَّرَ لديه الاعتقادُ الذي يراهُ اتباعًا، وفي هذا إيماؤٌ بديعٌ إلى أنَّ كلاً منهما قد تمكَّنَ من طريقه، واستقرَّ على ما ارتضاهُ لنفسه من سبيلٍ، حتى صارَ الاتِّباعُ سِمَةً لازمةً له، وطابعاً ثابتاً في مسلكه، والاتِّباعُ المذكورُ من الفريقين: هو سببُ التفرقةِ بينهما، فجعلَ النُّظمُ الكريمُ الاتِّباعينَ مثلاً للعَمَلَيْنِ ومضرباً للأمثالِ، فكما اتَّبَعُوا هذينِ السَّبيلينِ، وصارَ مصيرُهُم على هذا النحو، جعلَ الله ذلكَ تبياناً لكلِّ النَّاسِ⁽³⁾.

تبيان الأحوال
بالمُقابلة،
وإيضاح
الحقائق
بالتضادِّ
والمُفاضلة

الإيماءُ إلى أنَّ
كُلَّاً من الفريقين
قد تمكَّنَ من
طريقه، واستقرَّ
على ما ارتضاهُ
نفسه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 36 / 28، والحجازي، التفسير الواضح: 3 / 457.

(2) فاطمة السيد، من بلاغة القرآن الكريم في سورة مُحَمَّد ﷺ: 6 / 242.

(3) السَّيرافي، التقريب في التفسير: 4 / 227، ووهبة الزُّحيلي، التفسير الوسيط: 3 / 2430، وفاطمة

السَّيد، من بلاغة القرآن الكريم في سورة مُحَمَّد ﷺ: 6 / 240.

بلغة التعريف في لفظ «الْحَقُّ»:

في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ جاء تعريفُ «الْحَقِّ» باللام ليدلَّ على أنَّ ما اتَّبعه المؤمنون هو الحقُّ الثَّابتُ الرَّاسخ من ربِّهم، فهو الحقُّ الحقيقيُّ بالاتباع؛ لأنَّه الحقُّ الذي لا حقَّ سواه⁽¹⁾.

ما اتَّبعه
المؤمنون هو
الحقُّ الحقيقيُّ
الثَّابت الذي لا
حقَّ غيره

معنى «من» في «من ربِّهم» وزيادتها مع أهل الإيمان:

في زيادة جُملة «من ربِّهم» مع ذكرِ حالِ أهلِ الإيمان، دون أن يُذكرَ في شأنِ أهلِ الباطلِ ما يُقابلُها كقوله (من الشيطانِ)، دلالةٌ بليغةٌ على أنَّ اتِّباعَ الحقِّ نعمةٌ إلهيَّةٌ، ومنحةٌ ربانيَّةٌ يَخُصُّ اللهُ بها من شاء من عباده؛ فيهدي قلوبهم، ويُنيرُ بصائرهم، ويهيئُ لهم السُّبُلَ القويمةَ التي تبلغُ بهم دارَ الكرامة⁽²⁾.

الدَّلالة على
أنَّ اتِّباعَ الحقِّ
نعمةٌ إلهيَّةٌ،
ومنحةٌ ربانيَّةٌ

نكتة الإضافة لأهل الإيمان في «من ربِّهم»:

الإضافة لأهل الإيمان في قوله تعالى: «من ربِّهم» تنويهٌ بديعٌ بشأنِ هذا الحقِّ، وتشريفٌ لأهلِ الإيمان الذين اصطفاهم الله لسلكه؛ فتولَّاهم بعنايته، وأسبغَ عليهم من نِعَمه ما رفعَ به أقدارهم، فاستحقَّوا هذا التَّشريفَ؛ إذ كانوا أهلًا لقبولِ الحقِّ، والتَّمسُّكِ به⁽³⁾.

تشريف
أهلِ الإيمانِ
باختصاصهم
بعنايةِ الرَّحمنِ

بلغة الاستئناف في جُملة الفاصلة:

لَمَّا تبيَّن أنَّ باطنَ حالِ الذين كفروا هو الباطلُ، وأنَّ باطنَ حالِ الذين آمنوا هو الحقُّ، وعُلِمَ أنَّ المثلَ إنَّما يُدرَكُ في خفايا الإدراكِ، حيثُ يَكشِفُ عن حقائقِ الأشياءِ المحسوسة، فيكونُ لُطْفٌ من ظاهرها وأبلغَ في إيصالِ معانيها، تبيَّن أنَّ مَثَلَ كلِّ من الفريقين هو ما استقرَّ في باطنِ حاله، فكانَ مَثَلُ الكافرينَ الباطلَ الذي تلبَّسوا به، وكانَ مَثَلُ

تقريرُ ما
سبقُ بتحقيقِ
الحقائقِ بالمثلِ،
وإيضاحِ المعاني
بأجلى السُّبُلِ

(1) الجيلاني، تفسير عبد القادر الجيلاني: 341/5، والسَّيخ علوان، الفوائد الإلهية: 327/2.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 26/46، والهرري، حقائق الزوج والريحان: 129/27.

(3) ابن عاشور، والتَّحرير والتنوير: 26/77.

المؤمنين الحق الذي اعتصموا به؛ فاقترن المثل بالحال، فلذلك جاء الخطاب استثناءً؛ جواباً لمن قال لما أدركه من دهش العقل لما رآه من علو هذا المقال: هل يضرب مثل مثل هذا: ﴿كَذَلِكَ﴾⁽¹⁾.

دلالة الكاف ومعناها في ﴿كَذَلِكَ﴾:

قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ﴾، أي: مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ﴾ **اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** لأجل الناس ليعتبروا بهم، فإن قيل: أين ضرب الأمثال؟ هنا فالجواب: في جعل أتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، وأتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين⁽²⁾؛ أو في جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين؛ فالكاف هنا ليست للتشبيه، وإنما هي كافُ العينية⁽³⁾، أي تُفيد أن الطريقة التي يضرب الله بها الأمثال للناس هي عين ما بيته في الآية، فيبين الله للناس بياناً لأحوال الكافرين والمؤمنين مثل ذلك البيان⁽⁴⁾؛ لا على وجه التقريب والتشبيه، بل على وجه الحقيقة والبيان الجلي الذي يظهر المعاني ويوضح الحقائق كما هي، فهي أمثال كاشفة عن الحقائق بعينها.

سر التعبير باسم الإشارة ﴿كَذَلِكَ﴾:

في اختيار اسم الإشارة في ﴿كَذَلِكَ﴾ في هذا الموضع تنويه بديع بعظمة المثل المضروب، وإشادة بجلالة شأن البيان الإلهي؛ إذ جاءت الإشارة لتدل على أن ما سبق بيانه من إيضاح حال الفريقين، وإقامة البرهان على مآلهم، هو مثل عظيم الشأن، بالغ البيان⁽⁵⁾.

دلالة التعبير بالأمثال في الجملة الكريمة:

الأمثال: جمع مثل؛ وهو الحال التي تمثل صاحبها، أي: تشهره

تجلية الحقائق
بضرب الأمثال،
وإيضاح
مضاربها بأنتم
المقال

الإشارة إلى
عظمة المثل،
والتنويه برفيع
الحل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 200 / 18.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4 / 316، وأبو حيان الغرناطي، البحر المحيط: 9 / 459.

(3) القنوي، حاشية القنوي على تفسير البيضاوي: 7 / 18.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 119، وبهجت صالح، إعراب القرآن الكريم: 9 / 341.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 200 / 18.

الأمثال سنة
القرآن التي بها
تقوم الحجة،
وتتبين سبل
الهدى من سبل
الردى

للناس وتعرفهم به فلا يلتبس بنظائره⁽¹⁾، فمعنى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾، أي: كذلك نمثل للناس الأمثال، ونشبه لهم الأشباه، فنلحق كل قوم بأمثالهم، ونضع لكل سبيل وصفها وحقيقتها، فلا يضل السالك، ولا يلتبس الأمر على ذي عين بصيرة، فمن استقام، عرف باستقامته، ومن زاغ، كشف انحرافه؛ فما أبلغ هذا البيان، وما أدق هذا البرهان، وما أعظم هذه السنة التي بها تقوم الحجة، وتتبين سبل الهدى من سبل الردى⁽²⁾.

الغرض من التعبير بالفعول به ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ جمعاً مضافاً إلى الضمير:

جاء الجمع ليفيد تعميم العبرة، وشمول العظة، فلا يختص التمثيل بحال دون حال، والضمير في ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ راجع إلى الناس، فيكون المعنى أن الله تعالى يضرب لهم أمثالا تجلي لهم حقائق الأمور، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى الكافرين، والمؤمنين، بمعنى أن الله ﷻ يضرب للناس أمثال الكافرين والمؤمنين، ليكون لهم العبرة والعظة، فيما يرون من هؤلاء وأولئك، وليتبينوا سبيل الرشيد من طريق الغي⁽³⁾.

بلاغة التذييل بضرب الأمثال:

جاء قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ تذييلاً لما سبقه من البيان، وتقريراً لحقيقة حال الفريقين؛ فكما بين الله مآل الكافرين والمؤمنين، ووضح عاقبة كل منهم، جاء ختام الآية مطابقاً لمضمونها، ليزيد المعنى تأكيداً، ويجعل المتلقي في تواصل وثيق مع ما سبق من التركيب، والجمله تعتبر تذييلاً مقررًا لما قبله من مضمون الآيات السابقة⁽⁴⁾.

تعميم العبرة،
وشمول العظة
في الاعتبار
والاعتبار منه

تتميم البيان
بإحكام التذييل،
وتقرير من
مضمون التنزيل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 77 / 26.

(2) مأمون حموش، التفسير للمأمون: 302 / 77.

(3) الرّمخشري، الكشف: 4 / 315، والخطيب، التفسير القرآني: 13 / 308.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 77 / 26، وإسماعيل حقي، روح البيان: 8 / 497، وفاطمة السيد، من

بلاغة القرآن الكريم في سورة محمد ﷺ: 241 / 6.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-659-89-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07 م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"